



د. محمد محترم

إن فريدا كان أمة

وقعد لها كمال أتاتورك، بوحى ودعم من الغرب، إذا كان الأمر كذلك في بلاد آخر خلافة إسلامية، فكأنى بفريد الزمان الأنصاري يحمل في دعوته شعار "إنقاذ الوحدة الإسلامية" بالعودة الراشدة إلى القرآن الكريم. فهي العاصمة من قاصمة التشردم والتمزق التنظيمي. كل تنظيم بما لديهم فرحون. لقد انشغل فريدا رحمه الله في عهده الأخيرة بمشروع القرآن الكريم، وأصبح همه الرئيس، وحوله يدندن في أغلب كتبه ومقالاته ودروسه وخطبه وحواراته وما يتحدث به عبر وسائل الإعلام بمختلف أشكالها. لا يفتر عن الدعوة إلى إحياء مجالس القرآن والحياة بالقرآن، تلاوة وتدبراً ومدارساً وتعلماً وتعلماً وتزكية... لإيمانه اليقيني بأنه "بالقرآن- وبالقرآن فقط - بعث الله الحياة في عرب الجاهلية فنقلهم من أمة أمية ضالة إلى أمة تمارس الشهادة على الناس كل الناس" (1) وأنه "لا تحرير للأمة اليوم في معركة هذا العصر إلا بالقرآن، لأن طبيعة المعركة الجديدة قائمة على "الكلمة"، والقرآن العظيم هو الكلام القاهر فوق كل كلام (2). فالقرآن الكريم هو سر كل إصلاح منشود، ومفتاح كل وحدة حقيقية، وما بعد عنه يفرق ولا يجمع، ويزيد الجرح فتقاً لا رتقاً، والعظم كسراً لا جبراً، بحسب القرب أو البعد من كتاب الله.

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران : 103). وقال أيضاً: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام : 154) وأيضاً: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾ (هود : 108). ورحمة ربي أودعها في كتابه وكلامه ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ (الإسراء : 82).

وقال ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (3).

وأودعها كذلك في رسوله ﷺ المبلغ والمدين لكتابه وكلامه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء : 107). فهو ﷺ رحمة مهداة، وكل من اقتدى به ودعا بدعوته ودل الناس على كتاب ربه صار أيضاً رحمة بقدر حظه من ذلك. فبها أهب الأحاب! لنعد إلى مدرسة رسول الله ﷺ! لنعد إلى مدرسة القرآن! ومجالس القرآن، على منهج القرآن! صافية نقية، كما شهد عليها الله جل جلاله في جيل القرآن، لا كما تلقيناها مشوهة من عصور الموات في التاريخ! (4)

لقد ذكرني موت أخي وشيخي فريد الأنصاري بموت الأستاذ المجاهد عبد الرزاق المروري رحمهما الله جميعاً، الذي كان له باع طويل في نسج خيوط وحدة من وحدات هذه الأمة. فمات وقد أحببت حلقاتها، والمتوحدون لا يزالون يعيشون نشوة الفرح بهذه الوحدة، فكان القدر قال له: انتهت مهمتك. فلب داعي مولاك ودع المشوار لغيرك يتمه.

فجاء الشيخ فريد الأنصاري ليضع ومن معه لهذا النسيج وغيره مضمونه الحقيقي، الذي تبين بعد هزات الواقع ولطماته أنه في حاجة ماسة إليه. إنه مشروع القرآن الكريم. فهو جوهر النسيج ولبه وحقيقته، الذي يضمن استمراره وسلامته ونموه الطبيعي، ويبرز شخصيته الحقيقية والتميزة، وإلا كان مظهرًا خادعاً بدون مخبر، وإطاراً برافاً بدون محتوى صحيح. ومثل هذا لن يصمد أمام الأعاصير

التيار يضعون المجهر على بعض الطوائف والحركات الشاذة في تاريخ الإسلام، فيضخمون أمرها، ويضفون عليها طابع الثورية والتقدمية والتحررية والوقوف في وجه الاستغلال والظلم والديكتاتوريات والبورجوازية وهلم جرا... من المروج له، والمقصود "تأصيل" مفاهيمه وترسيخها.

ولم يكن الطالب فريد يناقش ويجادل مجرد الغيرة والحماس والعاطفة الدينية فحسب، كما كان يفعل كثير من الطلبة، بل كان يعتمد الحجج والبراهين والأدلة الدامغة، ويحاور مخالفه بعلم يثير الدهشة والإعجاب، ويدل على مستواه الدراسي والعلمي المتقدم.

الشيخ فريد الأنصاري العالم الموسوعي

كثيراً ما نقرأ أو نسمع في الأجواء الثقافية والحوارات العلمية تردد مضي عهد العالم الموسوعي الجامع لعدة علوم وهذا زمن التخصص بل تخصص التخصص. وكل ما يأتي من غير المتخصص فلا عبارة به. ومهما سلمنا بهذا قاعدة في هذا العصر الذي بلغت الدقة والتعمق في الأمور بفعل التقنيات الحديثة ووسائل البحوث المتطورة مبلغاً

استجمع أخلاق الأنبياء، مما جعله أهلاً ليكون من ورثتهم.

2- الشغف بطلب العلم : إذ أنه كان رحمه الله منهوماً بطلب العلم، منشغلاً بالقراءة والكتابة لا يفتر عنهما. فحين كنا نحن نصرف بعض أوقاتنا إلى جانب الدراسة في ممارسة أنواع الرياضات، والتنقل بين الأحياء والمدن في الزيارات الهادفة وغير الهادفة، والسفر في الرحلات والمخيمات، وحضور المجالس المفيدة وغير المفيدة... لا نجد له إلا معتكفاً على كتاب، أو ماسكاً قلمه يكتب في فن من الفنون.

3- الاشتغال بالدعوة إلى الله : إذ ظهر انشغاله بهم الدعوة مبكراً. فلا يسمع بمجلس من مجالس الإيمان والخير في أي مكان إلا بحث عنه ودعا أصدقائه إليه. وإن كنت أنسى فلا أنسى خطبه التي كان يلقيها علينا أيام الجمعة ويرتلها منذ المرحلة الثانوية في مسجد المؤسسة بمدينة كريمة بالرشيدية.

4- الهمة العالية والعزم المتقد : إذ كانت له همة عالية، وعزم يفت الحجر ويفل الحديد. وإذا تعلق قلبه بشيء لا يهنا له بال حتى يدركه. مهما كلفه ذلك من تعب ومشقة. وصدق من قال: وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

اسمعه وهو يخاطب نفسه : "فيا نفسي المغرورة ألا وإنه لا وزن لعمل يومئذ لم يبن بعد الإيمان على صلاة صحيحة، فماذا تغني العلوم والفهوم؟ وماذا تغني المناصب والألقاب؟ وما تنفع الأعمال والأموال؟ إن لم يكن العبد عبداً لله حقاً، قائماً بحق ربه العظيم، ساجداً وراكعاً، خاشعاً وخاضعاً..."

كبيراً يستلزم هذا التخصص، فإن لكل قاعدة استثناءات. والاستثناء يؤكد القاعدة ولا ينفيها. ولعل فقيدنا العزيز الشيخ فريد الأنصاري نموذج لهذا الاستثناء. فقد اجتمع فيه رحمه الله ما تفرق في غيره. فقد كان نجماً في مجال العلوم الشرعية في أغلب تخصصاتها، من فقه وأصول وتفسير وحديث وغير ذلك... وإذا ولجت مجال الشعر والأدب والرواية... خلته لا يتقن شيئاً غير ذلك.

وإذا تحدثت عن الدعوة والتربية والوعظ والإرشاد، فهو ابن الميدان، ولا يزايد عليه أحد في ذلك. ومؤلفاته وكتابه ومنتجاته السمعية والبصرية خير شاهد على باعه الطويل في كل هذه الأمور. وقس على ذلك في كل ما أهتم به أوتحدثت فيه أوتكتب.

الشيخ فريد الزمان الأنصاري

المجاهد المصلح :

إذا كان من حق تركيا المسلمة أن تفتخر برواد صحتها المعاصرة، وعلى رأسهم الشيخ بديع الزمان النورسي، فإن أبناء المغرب من حقهم أن يفخروا برواد وعلماء صحتهم أمثال فريد الزمان الأنصاري. فإذا كان النورسي رحمه الله قد حمل في دعوته شعار "إنقاذ الإيمان أولاً بالرجوع إلى القرآن الكريم، لأنه الشعاع الأنسب في عهده لتلك المرحلة الدعوية في تركيا، وذلك لانتشالها من براثن الإلحاد والكفر والضلال الذي عم البلاد والعباد، بفعل الردة التي أحدثها

كما أنه إذا اقتنع بشيء قام بتنفيذه دون تردد، فلا يأبه بأحد، ولا يخاف في الله لومة لائم.

5- الغيرة على دين الله والحجاج عنه **فقد** : كان رحمه الله أيضاً غيوراً على عقيدته ودينه ويدافع عن قيمه ومبادئه ضد المخالف، كيفما كان ومهما كان موقعه. لازلنا نذكر بهذا الصدد مناقشات ومجادلاته لبعض أساتذتنا ذوي الميولات اليسارية والقناعات العلمانية الذين درسنا عندهم في شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب ب "ظهر المهران" بفاس. ومن أبرزهم المفكر حسن حنفي الذي كان من زعماء اليسار الإسلامي، الحديث النشأة في تلك الفترة. وهو تيار يساري تبني أسلوباً جديداً وذكياً في مواجهة الفكر الإسلامي الأصيل، الذي يمثل في زعم اليساريين الرجعية والتخلف، ويقف عائقاً أمام التقدم والتحرر. فبدلاً من الهجوم المفضوح والمعلن على الإسلام وأهله كما كان يفعل الشيوعيون الإلحاديون، والترويج لثقافة

تبدواجنسية وغريبة عن البلاد والعباد شكلاً ومضموناً، وهو أسلوب أبان الواقع والتجربة عن فشلها في تحقيق أي تغيير منشود عندهم، لجأ هذا التيار الجديد إلى النباش في تاريخ التراث الإسلامي والبحث فيه عما يمكن أن يعتبر جذوراً له من قريب أو من بعيد، بشكل أوبآخر. أولاً: لإظهار أصالته ونفي الغربة عنه. وثانياً: لإحداث التغيير من داخل الثقافة الإسلامية، لا من خارجها مما لم يثبت جدواه. كان مفكرو هذا

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، والذي قهر عباده عامة بالموت، ولكن ليجتنبى أوليائه وينقلهم من دار التكليف والبلاء، إلى دار التكريم وحسن الجزاء. وينقل أعداءه من حياة اللهو والشهوة، إلى حياة البؤس والشقوة. والصلاة والسلام على من اختار الرفيق الأعلى، فأحسن الاختيار بعد أن أدى الأمانة، وبلغ الرسالة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعلى آله وصحبه والسائرين على دربه، المقتفين أثره إلى يوم الدين.

صعوبات في تناول حياة فريد ومختلف

أنشطته :

هذه كلمة متواضعة حول فقيدنا المرحوم، وأستاذنا الشاب الشيخ الدكتور فريد الأنصاري، أثبتنا إلى كل محبيه وغيرهم، نزولاً عند رغبة بعض الأحبة الكرام، واستجابة لطلبهم الملح في الإسهام في التعريف به، بحكم العلاقة الخاصة به منذ أيام الدراسة الثانوية والجامعية وما بعد ذلك. وقد شق علي هذا الأمر حقيقة :

أولاً: لأن الفقيد رحمه الله منذ مدة طغت علاقاته العامة على الناس. وما عاد للخاص فيه ميزة على العام. من جالسته امتلكه، سواء سبق أن عرفه أم لم يعرفه. يشرح له صدره، ويفتح له قلبه، ويغمره محبة حتى ليشعر أنه له وحده ولا يعرف غيره من الناس.

وثانياً: أن الفقيد رحمه الله صار علماً من أعلام الأمة. صعد إلى القمة في مجال العلوم الشرعية خاصة، وبلغ من الشموخ وسعة الأفق ما يجعل من أراد أن يتحدث عن شخصيته لا يعرف من أين يبدأ وأين ينتهي. وماذا يقدم وماذا يؤخر. وأي جانب من جوانب شخصيته أولى بالحديث من غيره... لهذا أرجو المعذرة مسبقاً في هذه الكلمة إذا تعثر القلم أو قصرت العبارة أو حادت عن القصد الفكرة. فالخطب أيضاً جليل، والمصيبة عظيمة، ولكن رضانا بقدر الله واجب، قدر من نحن عبده، أبناء عبده، أبناء إمامه، نواصينا بيده، ماض فينا حكمه، عدل فينا قضاؤه. فاللهم اجرنا في مصابنا هذا وأعقبنا خيراً منه.

مناقب الشيخ فريد الأنصاري :

لقد كان أخونا وشيخنا فريد الأنصاري مذ عرفته يتميز بخصال عظيمة أحسب أنه كان لها كبير الأثر في أن يبلغ ما بلغه في مجال العلوم والمعرفة والدعوة والجهاد والصالح والإصلاح... منها :

1- التخلق بأخلاق فاضلة :

إذ كان رحمه الله وهو في مراحل دراسته يتحلى بأخلاق سامية، قلما تجد بعضها في شاب في مثل سنه. كان هيناً لنا مسالماً، قد يتورع أحياناً حتى عن طلب حقه. شديد الحياء لا يعرف صحباً ولا فحشاً ولا بداءة في اللسان. حسن المعاملة مع الناس، حسن المعاشرة لأهله، باراً بالديه. معروفاً بالرفق والحلم والأناة، صابراً متحملاً قساوة وغلظة أبيه في معاملته رحمهما الله جميعاً. فكان فريداً الشاب/الطالب